أمريكا ووصول عبد الناصر للحكم

المخابرات الأمريكية والتعامل مع عبد الناصر دون نجيب

لم تكن السياسة الأمريكية تتماشى مع طريقة محمد نجيب في الحكم فهو يجنح إلى الديمقراطية وتسليم الحكم لمن يختاره الناس وعدم الاستبداد بالرأي ، وهذه الطريقة لا تحقق – في نظر أمريكا – إنجازات سريعة ، وربما أفسدت خططاً أمريكية مأمولة فإذا جرت انتخابات حرة في مصر في تلك الفترة فستكون نتيجتها الفوضى والفساد ، وسيطرة قوى معادية لها – الإخوان المسلمون ، والشيوعيون– على تأييد الشعب المصري .

لذا حرصت أمريكا على توثيق العلاقة بعبد الناصر الذي يشاركها الرأي أو يتفهم منطقها في القضاء على النظام السابق وإقامة سلطة مركزية مطلقة اليد في اتخاذ أي قرار ، وقد سبق لروزفلت وممثل عبد الناصر الاتفاق على هذه النقطة قبل قيام الثورة.

يقول كوبلاند : " تأكد لروزفلت وممثل عبد الناصر أن عامة الأمريكيين من صحفيين وموظفين وأعضاء في الكونجرس ورجال الحكم وحتى وزير الخارجية بالذات لن يكفوا بسهولة عن ترديد الشعارات القديمة ، وبنفس الوقت فلقد أدرك الجميع أن أية محاولة مبكرة لإعادة الحياة الديمقراطية لن تعني سوى العودة إلى الفوضى والفساد السابقين . فالانتخابات ستجري بين مرشحين تدعمهم الولايات المتحدة وبريطانيا ضد مرشحين يدعمهم السوفييت. ومن أصل ٢٨ مليون مصري، كان هناك حوالي ٢٤ مليوناً من الفلاحين المصريين لن يدلوا بأصواتهم إلا حسب تعليمات الإقطاعيين

وتوجيهاتهم،وستلجأ الجماهير في المدن إلى الاضطرابات كوسيلة وحيدة للتنفيس عن آلامها والتأثير على الوضع السياسي ، ولن يجدوا أمامهم سوى الانضواء تحت راية الإخوان المسلمين أو الشيوعيين ،المُتَنَفَسَيْن الوحيدين في ذلك الوقت لفئات الشعب"[1]

ويؤكد جيفري ارونسون تفضيل أمريكا سياسة عبد الناصر الرامية إلى الحكم العسكري المستبد على سياسة محمد نجيب الرامية إلى الحكم المدني الديمقراطي فيقول : " وحين تحرك ناصر علانية في فبراير لإخراج نجيب تكيفت الخارجية الأمريكية بسرعة مع هذا التغيير . وكان بايرود (وكان يومها مساعد وزير الخارجية الأمريكية) يرى نجم ناصر آخذاً في الارتفاع في نهاية عام ١٩٥٣ وذكر أن الدبلوماسيين الأمريكيين لم يفاجئوا تماماً حين استقال نجيب من منصبه كرئيس، وكرئيس للوزراء وكرئيس لمجلس قيادة الثورة في ٢٢ فبراير ٥٤ . وقد رأت النيويورك تايمز في إعادة نجيب بعد ذلك كرئيس في ٢٨ فبراير ٥٤ دليلاً على عدم النضج وعدم الخبرة السياسية التي تبعث على الخوف . واستجابةً لبروز ناصر كرئيس للوزراء في ١٨ أبريل ٥٤ كتبت النيويورك تايمز في افتتاحيتها مرددة خط بايرود وكافري الذين طالما دافعا عنه بأن " الحجة العسكرية " : هي أن الضباط الشبان لم يقوموا بثورة لكي يروا السلطة تعود ثانية للجمهور القديم الفاسد الذي يقوده الوفديون والسعديون ويستغله الاشتراكيون والشيوعيون والإخوان المسلمون .

فإذا كان البديل لذلك هو حكم صارم بواسطة مجلس قيادة الثورة فإن هذا يبدو مفضلاً والجيش هو الوحيد القادر على استعادة الاستقرار . وبدون استعادة سريعة للقانون والنظام فقد يكون هناك فوضى من نوع خطر . " [2]

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ٨٨ ، ٨٩.
([2])جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٣٧ .

ويقول ناتنج [1] صديق عبد الناصر الحميم : " لم يدهش عبد الناصر ، بعد قيام الثورة ، حين تعمد كافري ، السفير الأمريكي ، أن يظهر صداقته بتلميحات واضحة عن أنه سيبذل قصارى جهده في المساعدة على طرد البريطانيين ، الذين لم يُكِنَّ لهم شخصياً حبّاً يذكر . وسرعان ما أظهر الأمريكيون أنهم يدركون من هو القوة الحقيقية وراء الثورة عندما أرسلوا في شهر أكتوبر عام ١٩٥٣ ، كرميت روزفلت ، أكثر رجال المخابرات المركزية خبرة في شئون الشرق الأوسط ، إلى القاهرة لقيم علاقة شخصية مع عبد الناصر ، في حين استمر كافري في التعامل مع محمد نجيب وفقاً لما يقتضيه البروتوكول . وكان عبد الناصر يفضل هذه العلاقة غير الرسمية في البداية كما كان يقدر حق التقدير الفرصة التي أتاحتها له هذه العلاقة للاتصال غير الرسمي بواشنطن عن طريق ألان دالاس ، رئيس المخابرات المركزية ، الذي يتمتع بنفوذ قوي"[٢]

وبناء على ذلك فقد عمدت أمريكا على توطيد صلتها بعبد الناصر رغم أن محمد نجيب هو رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية إلا أنها رأت أن مصلحتها مع عبد الناصر وليست مع نجيب .

يقول كوبلاند : " بدأت سفارتنا في القاهرة ترسخ علاقتها مع عبد الناصر نفسه كرجل الدولة الحقيقي والآمر الناهي بلا منازع ، في حين بقي الشعب يصفق للواء محمد نجيب ويهتف له في الشوارع والساحات . ولكن السفير كافري لم يقطع علاقاته

([1]) أنتوني ناتنج من الشخصيات البارزة التي لعبت دوراً مهمة في السياسة البريطانية إذ كان يشغل منصب وزير الدولة للشئون الخارجية في حكومة إيدن واستقال من منصبه احتجاجاً على اشتراك بلاده في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، فضلاً عن أن مصادر معلوماته كانت صداقته الشخصية الحميمة بعبد الناصر وصلاته بغيره من الرؤساء ورجال السياسة العليمين ببواطن الأمور في منطقة الشرق الأوسط " شاكر إبراهيم سعيد في مقدمة ترجمته كتاب " ناصر " لنتوني ناتنج مكتبة مدبولي ط٢ ص ٤ .

([2]) انتوني ناتنج " ناصر " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد مكتبة مدبولي ط٢ ص ٧٢ .

الرسمية باللواء نجيب وقام بزيارات تقليدية متقطعة له ناقلاً بعض الرسائل الرسمية من حكومته في واشنطن التي لم تتطو على أكثر من مجاملات وتقاليد دبلوماسية . في حين كانت العلاقة الحقيقية للحكومة الأمريكية مع الثورة المصرية تتم عبر الصلات الوطيدة التي نشأت بين عبد الناصر وليكلاند بفضل جهود هيكل نفسه الذي أضحى ذا دور رئيسي فيها بعد نجاحه في إلباس وجهات نظر كل من عبد الناصر والسفارة الأمريكية حلة بهية قبل نقلها إلى الطرف الآخر.

أمسك كيرميت روزفلت وأعضاء لجنته الخاصة عن الاتصال المباشر بعبد الناصر بعد الانقلاب ، وقنعوا بمراقبة تطورات الأحداث في مصر بدون الانغماس فيها . فقد تطورت الأمور بهدوء تام حسب الخطة المرسومة لها . وكان الكف عن الاتصال المباشر بعبد الناصر ضروري لاستبعاد أية شبهة لتواطئنا مع النظام الجديد، وكانت رغبة جميع المهتمين بشئون الشرق الأوسط ترك الحرية كاملة لحكومة الانقلاب لمعالجة مشاكل البلاد وحلها بطريقة خاصة . ولم نعثر على أي مبرر للكشف عن القوى الحقيقية وراء الانقلاب وإظهار اللواء نجيب على أنه ليس أكثر من ستار ما يلبث أن يزاح .

ولكن لم يكتب لهذا الوضع أن يُعمِّر طويلاً فما لبث أن تبدل في عام ١٩٥٣ بعد مجيء الرئيس أيزنهاور إلى البيت الأبيض وإبداء رغبته في العودة إلى ممارسة دورنا مباشرة فيما نزمع تخطيطه وإنجازه مع نظام حكم عبد الناصر . وكان الدافع الأول لهذا هو إتقان دراستنا لدور اللاعب الجديد في مسرحياتنا والتأكد من تحركاته وفق توقعاتنا . وكان الدافع الثاني ضمان حصولنا بتحركاته هذه على إستراتيجية ناصر عند نشوب أول نزاع مع أعدائنا . وأما ثالث الدوافع فكان الاستفادة من هذا التقارب والتفاهم لتحقيق تعاون أوسع وأعمق بيننا قدر الإمكان. ومع أننا أدركنا أن مساعداتنا لعبد الناصر سوف تزيد من قوة مركزه في مسرحياتنا الدولية ولكننا لم نستبعد تحوُّل

دوره فيها إلى خصم لنا ومنازع . وكل ما بقي لنا وقتئذ هو الأمل فقط في أن نفلح في موازنة خطر خصومته لنا بزيارة طاقتنا وتوطيد عزائمنا على أن يكون سلوكنا هذا يخدم أهداف ومصالح كلا الطرفين معاً " [1] .

وكانت المصالح الأمريكية في ذلك الوقت تتمثل في :

١- الحفاظ على أمن وسلامة إسرائيل .

٢- تحرير الشعوب من الاستعمار القديم (انجلترا وفرنسا) .

٣- أيلولة ميراث الاستعمار القديم إليها وحدها .

٥- تأمين مصالحها الاقتصادية وفي مقدمتها المشروعات المتعلقة بالبترول (تنقيباً، واستخراجاً ، وتسويقاً ، واستثماراً لعائداته) .

٦- إبعاد الاتحاد السوفيتي عن المنطقة ، وحرمانه من ميراث الاستعمار القديم .

بينما تمثلت مصالح عبد الناصر بعد عدة شهور من الثورة في:

١- التمكن من الوصول للحكم والاستمرار فيه .

٢- جلاء الإنجليز عن مصر .

٣- الحصول على مساعدات عسكرية لحماية حدود الوطن (وليس مهاجمة إسرائيل).

٤- الحصول على مساعدات اقتصادية للقيام بمشاريع اقتصادية وطنية .

وفي حين كتب لبعض أهداف هذا الاتفاق – غير المعلن – النجاح فشلت أهداف أخرى .

فقد نجح التعاون بين عبد الناصر وأمريكا في :

١- توقيع مصر اتفاقية الجلاء مع انجلترا .

٢- الحفاظ على أمن وسلامة إسرائيل ، وإن فشلت المباحثات السرية بين عبد الناصر /شارت (رئيس وزراء إسرائيل) في توقيع اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل كما كان مأمولاً .

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ٩٦ ، ٩٧.

٣- الحفاظ على مصالح أمريكا الاقتصادية في المنطقة .

٤- وصول عبد الناصر إلى حكم مصر واستمراره فيه .

كيف ساعدت المخابرات الأمريكية عبد الناصر في الوصول للحكم؟

وفقاً للاتفاق غير المكتوب بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية – المذكور آنفاً – فقد عملت المخابرات الأمريكية بعد الانقلاب الثاني ووصول الضباط إلى سدة الحكم[1] إلى دعم عبد الناصر في صراعه على السلطة مع محمد نجيب وتمثل دعم المخابرات الأمريكية عبدَ الناصر في تقديم المال له ، وتوفير وسائل الحماية ، والعمل على سيطرته على آمال الشعب وتدبير المظاهرات المؤيدة له والمعادية لمحمد نحيب الذي كان هو الرئيس الشرعي للبلاد آنذاك .

يقول كوبلاند : " كان اعتقادي أن ما قدمناه لعبد الناصر من مساعدات لا يكفي لإقامة علاقات وطيدة معه . ولا أجد مانعاً من أن نستعرض معاً كيف تم تقديم المبلغ له . ففي أثناء زيارة قصيرة لي إلى نيويورك في أواخر ١٩٥٣ التقيت بدايرود (وكان يومها مساعد وزير الخارجية) واتفقت معه على أن نوضح لناصر أن مبلغ الأربعين مليون دولار هو " دفعة على الحساب " ومعرض للزيادة (أو النقصان) بناء على الطريقة التي سيستثمر فيها وعلى النتائج التي سيعطيها ، وأفلحتُ في إقناع بايرود بإضافة مبلغ آخر لاستعمال ناصر الشخصي ، وللاستعانة به في اتخاذ تدابير أمن استعداداً لمواجهة مصاعب جديدة بدأت رياحها تلفحه من الداخل (كان هذا عام ١٩٥٣) .

كما طلبت من بايرود أن تقوم حكومة الولايات المتحدة بتقديم سيارة " كاديلاك " مصفحة الجدران كهدية لناصر، وترسل له أيضاً خبيراً في المباحث ليشرف على تنظيم الحرس الخاص بناصر، وتزويده بأجهزة إنذار خاصة لحماية منزله وأخرى لاستخدامها في السيطرة على أمال الشغب والمظاهرات .

([1]) انظر كتابنا " العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو " دار زهور المعرفة والبركة .

ومع أن اقتراحاتي هذه قد لا تسترعي انتباه القارئ الآن إلا أنها كانت يومها ضرورية ومعقولة . وقد استحوذت على اهتمام بايرود الذي اعتبر معلوماتي عن الوضع معلومات من الدرجة الأولى . وباشر إنجاز الاقتراحات جميعاً ". [١]

واعترف حسن التهامي بأنه اجتمع هو وعبد الناصر مع المخابرات الأمريكية قبل الثورة ، وأنه عمل مع هذه المخابرات لتمكين زعامة عبد الناصر. [٢]

وهذا ما أكده خالد محيي الدين في إطار حديثه عن أزمة مارس ١٩٥٤ فيقول : "ومادمت أرصد كل ما حدث من وقائع هامة أو أن أشير إلى واقعة محيرة بل لعلها ظلت تحيرني لأمد طويل ففي هذه الأيام المليئة بأحداث مضطربة غامضة قابلني صحفي فرنسي مرموق ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي هو " روجيه استفان " وكان بالقاهرة ممثلاً لجريدة " فرانس أوبزرفاتور " قابلني ليجري حديثاً معي وأثناء الحديث همس في أذني قائلاً : " سأبلغك بنبأ هام الدوائر الحاكمة في الغرب قررت مساندة جمال عبد الناصر ضد محمد نجيب ، إنهم يفضلون جمال لأنه سيكون حاكماً قوياً ومتفهماً للأوضاع في آن واحد ، أما نجيب فهو حاكم ضعيف وأمثاله سرعان ما يخضعون لضغط الجماهير . ومكنتني هذه الهمسات من أن أعرف الاتجاه الحقيقي للريح . " [٣]

ويؤكد رياض سامي هذا فيقول " عرفت أن السفير الإنجليزي عزم مجموعة الثورة دون محمد نجيب وعلمت فيما بعد أن مدير الوكالة الفرنسية أبلغ شخصاً معيناً أن عبد الناصر اتفق مع الإنجليز لو تعاونوا معه سيتساهل معهم في اتفاقية الجلاء ومدير الوكالة الفرنسية قال إنهم اتفقوا مع الإنجليز على هذا الوضع ". [٤]

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ١٩٧ ، ١٩٨.
([2]) محمد جلال كشك " ثورة يوليو الأمريكية " الزهراء للإعلام العربي ص ١٣٠.
([3]) خالد محيي الدين " والآن أتكلم " مرجع سابق ص ٢٦٨ .
([4]) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مرجع سابق ص١٦١ .

ويؤكد جيفري ارونسون سعادة الإدارة الأمريكية بنجاح عبد الناصر في الوصول إلى السلطة فيقول : " وقد قوبل تولي ناصر للسلطة بالترحاب من أولئك الذين سبق وأن رحبوا بنجيب بلغة المتغيرات التي يفهمها رجال الدولة الغربيون . وباختصار كان نصر أيضاً ممن يستطيع الغرب أن يتعامل معه وفقاً لشروطه طبعاً . " [١]

كما دعت الخارجية الأمريكية (المتمثلة في كافري ، وبايرود) أصحاب القرار في أمريكا إلى مواصلة دعم عبد الناصر وعدم استعجاله في خدمة المصالح الأمريكية .

واعترف حسن التهامي [٢] بأنه اجتمع هو وعبد الناصر مع المخابرات الأمريكية قبل الثورة ، وأنه عمل مع هذه المخابرات لتمكين زعامة عبد الناصر. [٣]

وكعادة الولايات المتحدة الأمريكية أن تتصل بكل القوى المؤثرة في اتخاذ القرار فإنها في الوقت الذي تقوي علاقتها بجمال عبد الناصر الرجل القوي في مجلس قيادة الثورة والمنافس لمحمد نجيب عن طريق المخابرات فإنها في الوقت نفسه تحاول كسب ثقة محمد نجيب وتحذره من عبد الناصر الذي يتآمر عليه، وهي الرابحة في الحالتين فإن نجح سيناريو عبد الناصر في الإطاحة بنجيب فهم من ساعده في الوصل إلى ذلك، وإن فشل عبد الناصر وانتصر نجيب فإن الأمريكان سوف تذكره بأن الفضل كان لها في كشف مخطط عبد الناصر ضدده .

يقول محمد نجيب : " في أواخر عام ١٩٥٣ قال لي قائد الحرس محمد رياض: أنا أحمل لك رسالة من المليونير أحمد عبود .

قلت له : عبود المليونير ؟

قال: نعم !

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٣٨ .

([2]) حسن التهامي أحد الضباط الأحرار ومن أقرب الضباط للرئيس جمال عبد الناصر وشغل منصب مدير مكتب المعلومات برئاسة الجمهورية في الخمسينات .

([3]) محمد جلال كشك " ثورة يوليو الأمريكية " الزهراء للإعلام العربي ص ١٣٠.

وتعجبت، فليس لي صلة به، وكل ما أعرفه عنه أنه كان يملك مشروعات كبرى معظمها مشروعات صناعية .

فقلت : ماذا يقول عبود باشا ؟

قال محمد رياض : كان عبود باشا في زيارة للولايات المتحدة للحصول على قرض أمريكي لتنفيذ مشروع للسماد في السويس، وهنا قال له الأمريكان إن عبد الناصر يتآمر ضدك هو وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة، وقد طلب منه الأمريكان إبلاغك بذلك، وقالوا له أنهم مستعدون للوقوف إلى جانبك للتخلص من جمال عبد الناصر ومجلس الثورة .

وفي الحقيقة أنا لم أشك كثيراً في صدق هذه الرسالة، فقد كان عبود صديقاً للأمريكان فعلاً . وكان ردي على عبود الذي حمَّلْته لمحمد رياض هو : أنا أعرف أنك صديق الأمريكان وأنا لا أسمح لك بمزاولة هذا النشاط مع رفضي البات لهذا العرض وأرسل لك تحذيراً بأنني سأصدر أمراً باعتقالك إذا واصلت هذا النشاط .

ونقل رياض رسالتي لعبود الذي أصابه الفزع من تهديدي له بالاعتقال، لكني ضحكت من رد فعله لأنه ليس من طبعي أن أعاقب رسولاً حمل إليَّ رسالة مهما جاء بها .

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تصلني رسالة من الأمريكان بهذا المعنى فقد وصلتني رسائل شفهيَّة أخرى منهم خلال بعض الشخصيات العربية وكلها تؤكد أن عبد الناصر يخطط لعزلي وأن الأمريكان مستعدون للعمل بجانبي للخلاص منه ومن رفاقه في مجلس قيادة الثورة، وكنت أرد على من يحملها لي: بأنني لا أرضى، ولا أسمح بأن أستعين بأجنبي واحد على أبناء بلدي، يبدو أن ردي على الأصدقاء الذين حملوا هذه الرسائل كان شديداً وغضبوا منه فابتعدوا عني بعض الوقت ، لكنهم فهموا موقفي بعد ذلك وعذروني ، وأصبحنا أصدقاء كما كنا .

كان الأمريكان في الحقيقة يسعون جاهدين للتسلل داخل السلطة في مصر، ورغم أنني كنت في صراع حادٍ مع عبد الناصر إلا أنني رفضت الاستعانة بهم، ورغم أن عبد الناصر كان يفعل المستحيل للتخلص مني فإنني لم أكن أعتمد في وجودي إلا على جماهير الشارع .

ويبدو أنهم عندما يئسوا مني قرروا التحالف مع عبد الناصر ضدي ." [1]

وأكد الصحفي الكبير مصطفى أمين علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية وتعاونها معه في الإطاحة بنجيب .

يقول مصطفى أمين في رسالته لعبد الناصر بعد القبض عليه بتهمة التخابر مع الولايات المتحدة الأميركية في ٢١ يوليو ١٩٦٥ : " كان كيم روزفلت مدير المخابرات الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط قد حضر إلى مصر في هذه المرة في مهمة قصيرة لا تزيد على يومين، ثم قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحضر كيم إلى القاهرة أيضاً في مهمة الاتصال بقادة الثورة. ولم أقابله هذه المرة ولكني عرفت بحضوره من أعضاء مجلس قيادة الثورة . وزاد تردده على القاهرة بعد ذلك في مهام كثيرة، وقد قابلته في أغلب المرات، وسيادتكم تعلمون أنني قابلته كثيراً في هذه المرحلة . والحقيقة أنني كنت أسعى إلى لقائه عندما أعلم بحضوره . وكنت أجتمع به في حضور الأستاذ محمد حسنين هيكل، وكنا نتغذى معاً في بيتي، وقد توطدت علاقتنا به . وكانت مناقشتنا تدور حول المشاكل التي تدور في الأذهان، وجرى حديث أيضاً عن محمد نجيب، ورأينا أنه لا يصلح، وكانت المرحلة خلال الفترة من سنة ١٩٥٣ إلى ١٩٥٤. وكان كيم روزفلت على اتصال وثيق بالثورة، وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال لدرجة أنه كان في ذلك الوقت الأمريكي صاحب أقوى نفوذ من الأمريكيين في مصر، بما فيهم السفير الأمريكي" [2]

---

(1) محمد نجيب " كنت رئيساً لمصر " المكتب المصري الحديث ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(2) النص منقول حرفيّاً عن كتاب محمد حسنين هيكل " بين الصحافة والسياسة " شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت ص ٢١٥ .

وما كان مصطفى أمين ليكذب على عبد الناصر وهو يرسل له رسالة من جحيم تحقيقات صلاح نصر يستعطفه فيها ليفرج عنه مذكراً له بأن ما قام به من الاتصال بالأمريكان لم يكن وليد يوم قبض صلاح نصر عليه في ٢١ يوليو ١٩٦٥ إنما له تاريخ طويل يمتد إلى ما قبل الثورة كان مصطفى أمين وحسنين هيكل وعلى صبري وحسن التهامي وغيرهم همزات الوصل بين رجال المخابرات الأمريكية وجمال عبد الناصر تحديداً دون سواه من قادة الثورة .

دور أمريكا في جلاء الإنجليز عن مصر

كما كان من أبرز المساعدات التي قدمتها أمريكا لعبد الناصر ضغطها على انجلترا لتوقيع معاهدة الجلاء عن مصر بل وهددت بالسير في سياسة مستقلة عن انجلترا لو لم توقع معاهدة الجلاء مع مصر ، وذلك لرفع شعبية عبد الناصر الذي كان رئيساً للوزراء والمسئول عن المفاوضات المصرية / الإنجليزية آنذاك.

يقول جيفري ارونسون : " سافر كل من إيدن وتشرشل إلى واشنطن في ٢٥ يونيو (١٩٥٤) لمناقشات حول الجلاء وضغط أيزنهاور على تشرشل للوصول إلى اتفاق سريع مع مصر محذراً أن الولايات المتحدة سوف تنفصل عن لندن وتتبع سياسة مستقلة عن الاهتمامات البريطانية إن لم يتم هذا قريباً . " [١]

ورأت أمريكا في توقيع اتفاقية الجلاء انتصاراً لدبلوماسيتها .

يقول جيفري ارونسون : " رأت واشنطون في الاتفاقية الإنجليزية المصرية التي وقعت بالأحرف الأولى في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ نموذجاً لانتصار دبلوماسية الولايات المتحدة في الحرب الباردة . فلم تحم الاتفاقية فحسب مصالح استراتيجية غربية ، وإنما فتحت أيضاً الباب لمعونة الولايات المتحدة للمساعدة في تدعيم المجموعة العسكرية المصرية الموالية للغرب . ومما كان له أهميته في ضوء صراع الدعاية الدائر بين الشرق والغرب ، فإن

([١]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٤١ .

الاتفاقية قد مثَّلت تطبيق النزول السلمي الذي دفعته الولايات المتحدة من نظام استعماري قديم إلى نظام يحترم استقلال مصر الوطني . وقد رأى صناع السياسة الأمريكية وساطة الولايات المتحدة الناجحة كدليل لا يخطئ على تفوق سياسة الولايات المتحدة في الأسلوب المتدرج على الاستراتيجية السوفيتية الشيوعية في دعم القومية غير العقلانية والتخريب " [1] .

موقف أمريكا الحرة من استبداد عبد الناصر

وعلى الرغم من أن أمريكا كانت حاملة لواء الديمقراطية والداعية الأولى لها إلا أنها لم يكن يعنيها – في الحقيقة – إلا مصالحها فلم يكن يعنيها كثيراً كيف وصل حلفاؤها إلى الحكم ، ولا كيف يديرون شئون بلادهم كل الذي كان يعنيهم مدى الاستفادة من حلفائها في تحقيق أهدافها لذا لم تجد ما يمنع من دعم عبد الناصر في الوصول إلى الحكم ، ومن احتكاره له وممارسة دكتاتورية عسكرية في حكم البلاد.

يقول كوبلاند في ذلك : " وفيما يخصنا نحن الأمريكيين فكل ما نطمح إليه لا يتعدى العثور على لاعب ملائم ماهر يشاركنا الجلوس إلى طاولة " لعبة الأمم " ويؤدي دوره بكل انسجام وهدوء . فعلى صعيد السياسة الداخلية ، لم نكن لنتدخل في قرارات عبد الناصر وتصرفاته إطلاقاً ، ولم تكن تعنينا شيئاً طالما أنها لا تضع مخططات سياسته الخارجية موضعاً يتعارض مع سياستنا الخارجية ، ويعرض مصالحنا للخطر . وليس لنا أن نوجه أي انتقاد لعبد الناصر بخصوص طريقة توطيد لدعائم سلطته الداخلية ، واتباعه أساليب بونابرتية [2] . فقد كانت وجهة نظره حيال

([1])جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ١٤٩ .

([2]) البونابرتية اتجاه سياسي يعني في معاجم العلوم السياسية أي نظام يستند إلى نوع من الشمولية أو القوة العسكرية أو إلى حكم شعبوي يستند إلى زعامة فرد قائد ويمارس سلطاته وسط تأييد جماهيري عام . حيث السيادة نظرياً للشعب، وحيث لا ينفك النظام الحاكم عن استمالة الجماهير والتمسك بالإرادة الشعبية والعمل عند اللزوم على تنظيم استفتاءات عامة يمكن التلاعب بنتائجها.. وغالباً ما يظهر هذا الاتجاه السياسي في أعقاب أي ثورة تحدث في هذا البلد أو ذاك.

أصدقائه الأمريكيين ترتكز دائماً على قوله المشهور : " إذا كنتم تعافون وسائلي للوصول إلى أهدافي فلا تتلكئوا في اقتراح وسائل أفضل إنني على الأقل سأصغي إلى ما ستقولون " ولم نفكر أبداً بامتحان إخلاصه هذا لأنه لم يخطر ببالنا طرقاً أفضل ،ووسائل أنجع ؛ليسلكها بدل وسائله ويستخدمها لتحصيل ما يخططه لنفسه" [١]

ولم يكن أبداً الخلاف بين عبد الناصر وأمريكا سببه أسلوب عبد الناصر الديكتاتوري في حكم مصر بل على العكس فربما كان ذلك هو السبب في دعمه في إقصاء محمد نجيب وتثبيته رئيساً لمصر .

يقول كوبلاند : " أن الهدف الرئيسي من دعمنا لعبد الناصر هو رغبتنا في توفير زعيم في بلد عربي رئيسي يتمتع بنفوذ قوي على شعبه وعلى بقية العرب وله من القوة ما يمكنه أن يتخذ ما شاء من القرارات الخطيرة وغير المقبولة عند الغوغاء – مثل عقد صلح مع إسرائيل – واستناداً إلى قواعدنا المدروسة وقواعد عبد الناصر ، فإن استتباب النظام ورضوخ الأمة أمر يجب تحقيقه ولو اقتضى الأمر استخدام القوة واتباع أساليب البطش والإرهاب " [٢] .

فأمريكا زعيمة العالم الحر – كما تدَّعي – كانت تبارك كل وسائل البطش التي كان يستخدمها عبد الناصر مع المعارضين له بل إن أمريكا نفسها هي التي أمدته ببعض وسائل البطش .

يقول كوبلاند : " إن وسائل القمع كانت دائماً على أهمية الاستعداد ولها المقام الأول في اهتمام عبد الناصر واعتنائه ... وبالرغم من أن كثيراً من الرسميين الغربيين الذين يكرهون عبد الناصر قد هاجموه ونعتوه بأنه دكتاتور فاشيستي (وكان معظمهم من المسئولين في الحكومة الأمريكية والبريطانية) إلا أنهم كانوا على علم تام بكل

([1]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ١١٠ .
([2]) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ١١٤ .

خطواته عندما كان يبني وسائل القمع وأجهزته متجاهلين عمداً كل تصرفاته في هذا المجال " [1] .

فليس استبداد عبد الناصر بالحكم وبطشه بالمعارضين هو سبب الخلاف بينه وبين أمريكا إنما كان سبب الخلاف هو تقاعس أمريكا في الوفاء باتفاقها مع عبد الناصر في تزويده بالسلاح الدفاعي ، ومساعدته في دعم الاقتصاد الوطني وبناء السد العالي ؛ لذا لم يجد عبد الناصر بداً من الاستعانة بالاتحاد السوفيتي لتذويده بالسلاح الدفاعي ، وتقديم مساعدات اقتصادية للقيام بمشاريع اقتصادية وطنية . وبهذا يكون عبد الناصر قد استبدل الاتحاد السوفيتي بأمريكا ، وإن استمر في الحفاظ على أمن إسرائيل والمصالح الأمريكية في المنطقة ، وخطوط اتصال بينه وبين أمريكا .

وسوف نرصد الآن كيف انقلبت أمريكا على الاتفاق – غير المعلن – مع عبد الناصر ورد فعل عبد الناصر تجاه هذا الانقلاب .

***

(1) مايلز كوبلاند " لعبة الأمم " تعريب مروان خير مرجع سابق ص ١٢٧.